بسم الله الرحمن الرحيم

قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة صدق الله العظيم (سورة يوسف [illegible])

السبيل

AL SABÎL

١٧ رجب ١٤٠٩ هـ ــ ٢٤ شباط ١٩٨٩ م

العدد ٢

حول استراتيجية المواجهة

لجأ العدو الصهيوني الى اسلوب جديد يضاف الى اساليبه الاجرامية في مواجهة الانتفاضة. فقد جعل ينسف دار كل من يقبض عليه ملقياً حجراً. وهو اجراء اشد على النفس، أحياناً، من اطلاق الرصاص والاعتقال. لانّ قاذف الحجارة تهيأ نفسياً لاستقبال الرصاص والاعتقال. ولكنه لم يتهيأ لنسف داره وترك عائلته، بسببه، دون مأوى. وشاءت ارادة الله التي رعت الانتفاضة منذ يومها الاول ان تبث في النفوس ما جعلها تقوى على هذه المحنة: واذا بالانتفاضة تتواصل. واذا بقاذفي الحجارة يستمرون..

على أن المواجهة الراهنة تتطلب استراتيجية جديدة في الجهاد تأتي بمستوى ما استجد في استراتيجية العدو. فاذا كان اسلوب القاء الحجارة هو السائد، في الانتفاضة حتى الآن، وقد جاء بنتائج ايجابية اذ ابقى الجذوة متقدة، وزعزع معنويات جيش العدو، الا ان من الضروري، كما يبدو، ان يصار الى التوسع باستخدام اسلوب الاضرابات والتظاهرات الجماهيرية الحاشدة، فتسد الطرقات بالهاتفين «الله اكبر»، وهم يلعنون العدو ويتحدون رصاصه ودباباته. أما قاذفوا الحجارة والزجاجات الحارقة فينبغي لهم ان يجعلوا معاركهم في نقاط بعيدة من الحشود لان الاشتباك بالحجارة والزجاجات الحارقة تفرض على أغلبية الشيوخ والكهول والنساء ان يتواروا وهم يدعون الله ليحمي اولئك الفتية.

يلاحظ ان لكل من هذين الاسلوبين ايجابياته وسلبياته فالمواجهات بالحجارة والزجاجات الحارقة تصعّد الصراع وتعطيه شكلاً قتالياً لكنها لا تبرز دور الكتلة الجماهيرية الجبارة ولا تجعلها في المواجهة. أما التظاهر بالجماهير فيؤدي الى تعظيم قوة المقاومة، ويزيد من حرج موقف العدو بينما تكون سلبياته في صعوبة ضمان استمراره يوماً بعد يوم اذ ليس من السهل التحكم به، في حين يمكن التحكم بتحريك الفرق المقاتلة بالحجارة والزجاجات الحارقة. ولهذا كان المزج بين الاسلوبين ضرورياً، وهو اليوم أشد ضرورة.

وبالمناسبة عرفت الانتفاضة في أشهرها الأولى هذا الدمج. ويمكن ان يتحقق هذا الآن بتخصيص يومين أو اكثر للتظاهرات الجماهيرية الحاشدة بعيداً من معارك الحجارة. أما المساجد فتشكل المنطلق لهذا الحشد، وهي القادرة على التعبئة الجماهيرية الواسعة تحت راية «لا إله إلا الله». أما اولئك الابطال من الفتية الذين يهتفون «الله اكبر» ويرمون بحجارتهم فلتكن لهم ايامهم ولتكن لهم معاركهم بعيداً من الحشود.

وبعد، فهذان الاسلوبان بحاجة الى سرايا مجاهدة طلبت الجنة لترفدهما بعمليات ضد جيش العدو. وبهذا تكتمل حلقات استراتيجية المواجهة باساليبها الثلاثة.

يقول الله تعالى..﴿وقال يابنيّ لا تدخلوا من باب واحد وأدخلوا من أبواب متفرقة﴾(يوسف:٦٧).

الانتفاضة: الدرس الاول

اندلعت الانتفاضة تحت راية «لا إله الا الله» وتقدمت مع هدير الجماهير بنداء «الله اكبر»، وضربت جذورها، واستوت على سوقها، انطلاقاً من مساجد الله وأتسعت، وكبرت، وتواصلت، وهي تحافظ على وحدة الشعب كله.

وصبر الناس، وصابروا في خضم القنابل والدبابات والرشاشات والمعاقل، وما وهنوا، وقد سقط مئات الشهداء، وآلاف الجرحى، واعتقلت عشرات الآلاف وهدمت منازل، وخربت بيوت. وازدادوا جراءة على مواجهة العدو بما انزله الله في القلوب من شجاعة، وسكينة، وقرة إيمان.. ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا﴾(الانفال:٤٥).

وصمدوا في وجه الصعوبات المعيشية والاقتصادية بما بث الله في صفوفهم من روح التكافل والايثار. ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾(الحشر:٩).

ان خوض الصراع تحت راية «لا إله إلا الله» وضع البركة في الانتفاضة، وفي العمل الاسلامي، وجاءت محافظة المجاهدين الاسلاميين على وحدة جميع القوى الاسلامية والوطنية في الانتفاضة، لتزيد في تلك البركة، وتعزز من ثقة الشعب بما يجري، فراح يعطي ويعطي دون نفاذ لصبر ودم وجهاد، ودون وهن من قرح وألم.

ذلكم هو الدرس إذا اردنا للانتفاضة أن تستمر وتتواصل فتجترح النصر. أي يجب أن نزيد من ترداد «لا إله إلا الله» ونجعله مهيمنا على كل الشعارات، اذ ينبغي للراية الاسلامية ان تعلو كل الرايات.. ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم﴾(محمد:٧).

واذا سألنا، فالفضل في اندلاع الانتفاضة لله وحده ثم للمسلمين كافة حتى تبقى البركة فيها.

بسم الله الرحمن الرحيم

فلسطين قضية اسلامية

(٢)

العدو وفلسطين

لم تختر فلسطين لتكون بقعة اقامة الوطن القومي اليهودي عليها، ولم تتكاتف كل قوى الامبريالية العالمية والصهيونية العالمية من أجل اقامة ذلك الكيان وتدعيمه وتحويله الى قاعدة عدوان الا لمكانة فلسطين الاستراتيجية في العقيدة الاسلامية، والحضارة الاسلامية والجغرافيا العربية والاسلامية والتاريخ العربي-الاسلامي والأمن العربي والاسلامي. فاحتلاله لم يقصد لذاته وان كان الهدف هو تجسيم الامة عقيدة وحضارة وتاريخاً وجغرافية وأمناً. فاحتلال فلسطين فصل المغرب العربي-الافريقي-الاسلامي عن المشرق العربي الاسيوي-الاسلامي. انها السيطرة على بقعة استراتيجية مركزية من زاوية الاستراتيجية العالمية في السيطرة على بلاد المسلمين، وعلى عقدة المواصلات الدولية. انها نقطة وثوب لاحتلال قناة السويس.. ونقطة وثوب الى أعماق البحر المتوسط والبحر الاحمر. وانها نقطة وثوب الى منابع النفط.

ان فلسطين بسبب مكانتها في القرآن والسيرة النبوية والحضارة الاسلامية تشكل معلماً أساسياً من معالم كبرياء المسلمين وعزتهم وحضارتهم وتاريخهم فاذا ما احتلت وكرس احتلالها وفشلت محاولات استعادتها، واذا توج ذلك بالاعتراف بشرعية هذا الاحتلال فسيمثل ذلك عنوانا لتحطيم ارادة الامة وذلها وخضوعها وهوانها.. انه تحطيم لنفسية الأمة وشل لارادتها وتمريغ لأنفها في العجز والوهن وبهذا يكون احتلالها جزءاً لا يتجزأ من:

١ - السيطرة على ثرواتها الاستراتيجية الحيوية.
٢ - السيطرة على الأمة الاسلامية وتكريس تجزئتها.
٣ - تعريض أمنها للخطر ووضعه تحت التهديد المباشر من قناة السويس الى البحر الاحمر والبحر المتوسط حتى منابع النفط.
٤ - تحطيم ارادة الأمة وزعزعة معنوياتها ونفسياتها وصولاً الى فرض الاستسلام الدائم عليها ومن خلال الاقرار بشرعية الوجود له، والاقرار بحقه في الامن والتفوق العسكري والمراقبة، والاقرار بحقه في الوصول الى تطبيق اقتصادي واجتماعي وثقافي.
٥ - يشكل عماداً لتمزيق الأمة على أسس طائفية وأثنية وجهوية قد تصل الى قيام كيانات رديفة معادية لاسلام الامة ووحدتها ونهوضها.

إنهم يكيدون كيدا
وأكيد كيدا
فمهل الكافرين
أمهلهم رويدا
صدق الله العظيم
(الطارق ١٥-١٧)

ومن هنا يتثبت مرة أخرى ان قضية فلسطين قضية إسلامية وتهم الأمة الاسلامية، مباشرة، في عقيدتها ووحدتها ومنعتها وأمنها ومصالحها الاستراتيجية العليا وهذا يفترض من شعب فلسطين باعتباره جزءاً من الأمة كما يفترض من الأمة الاسلامية باعتبار شعب فلسطين جزءاً منها وأرضه جزءاً من ديارها، ان يتعاملا والقضية الفلسطينية انطلاقاً من أهميتها على المستويات والابعاد المذكورة أعلاه لا انطلاقاً من اعتبارها مجرد احتلال لارض اسلامية أو مجرد مشكلة جزئية. فكما ان الغرب والشرق أعلنا دون مواربة وجعلا الافعال تسبق الاقوال ان وجود الكيان الصهيوني وأمنه بالنسبة اليهم مسألة استراتيجية لا تقبل نقاشاً أو مساومة فيجب على الأمة الاسلامية، بما فيها شعب فلسطين، ان تعلن دون مواربة، وتجعل الافعال تؤكد الاقوال، ان قضية فلسطين بالنسبة اليهم مسألة استراتيجية لا تقبل نقاشاً أو مساومة. بكلمة اخرى، ان الولايات المتحدة يمكن أن تخرج من فيتنام وكمبوديا وتتخلى عن نفوذها فيهما ولكنها لا يمكن ان تسمح بانتهاء دولة اسرائيل أو المساس بامنها. أي تعاملها كولاية من ولاياتها وان فرنسا يمكنها ان تخرج من الجزائر أو المغرب ولكن لن تسمح بفك دولة اسرائيل، وكذلك الامر بالنسبة الى بريطانيا في الهند والاتحاد السوفياتي في أفغانستان. أما الأمر الذي لا يمكن ان يسمح به فهو انهاء الوجود الكياني الصهيوني في فلسطين.. ولا يتأتى هذا كله بسبب أهمية ثروات فلسطين وانما بسبب أهمية الكيان الصهيوني في استراتيجية السيطرة على الأمة الاسلامية ولهذا لا يمكن ان تحطم هذه الدولة الا بتحطيم الارادة الدولية التي تقف وراءها. ولكن هذه بدورها، لا يمكن ان تواجه ومن ثم تحطم الا من خلال الألف مليون مسلم وربما بعد ثلاثين عاماً عندما يصبحون الفي مليون وتزداد فيهم عوامل النهوض وتزداد في اعدائهم عناصر الانحلال والتدهور. وربما يحدث ذلك بعد ستين عاماً أو اكثر. ولكن لا طريق غير طريق الأمة الاسلامية اليوم وغداً وبعد غد في معالجة قضية فلسطين كما كان الحال أمس وقبل أمس. ولهذا لم يكن بلا مغزى اصلا ان يتم احتلال فلسطين وانتزاعها من أيدي المسلمين بعد حرب عالمية، وبعد تحطم دولة الخلافة الاسلامية.

بسم الله الرحمن الرحيم

وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله صدق الله العظيم (المزمل ٢٠)

بين التحرير والتغيير

ان نجاح مشروع وعد بلفور، منفذاً من خلال الصهيونية العالمية والأمبريالية العالمية في اقامة الدولة الاسرائيلية عام ١٩٤٨ وتمكين تلك الدولة من البقاء، بل ومن التوسع والتحول الى قوة مسيطرة متفوقة عسكرياً من جهة، أما من جهة أخرى فان فشل الفلسطينيين والعرب والمسلمين في دحر ذلك المشروع ليدلان دلالة صارخة على أن أوضاع الأمة الاسلامية تحتاج الى التغيير، فالعلم الاسرائيلي اليوم على الأرض المباركة فلسطين ليشكل كشافاً لما ترزح تحته الأمة من تجزئة وتبعية لشرق وغرب ولما تعانيه بعض أجزائها من إحتلال خارجي ولما يفت في عضدها من وضع فاسد ومريض. وانه ليشكل دعوة صارخة الى ضرورة ان يعالج هذا الوضع اصلاحاً أو ثورة أو من خلال عمليات جراحية.

المهم يفرض كل ذلك التفكير بضرورة التغيير، فاذا كان البعض يعيد تشخيص العلة الى قوة الاعداء وتفوقهم في مجالات الأسلحة والتكنولوجيا والعلوم والأقتصاد والاعلام وتحكمهم في النظام العالمي سياسياً وعسكرياً وأقتصادياً وثقافياً وحضارياً، واذا كان البعض يعيد أسباب ذلك الى ولاة الأمور، وهؤلاء يعيدونه الى تمزقهم وصراعاتهم الجانبية، وعدم قدرتهم على توحيد الكلمة. وكل دولة تستطيع أن تدعي ان التقصير هو تقصير الدول العربية والاسلامية الأخرى. واذا كان البعض يعيده الى الضعف الناجم عما أنتشر من علمانية وتغريب في الأنظمة والمجتمعات، أو قل الناجم عن إتباع تلك السبل وعدم إتباع سبيل الله، سبيل الاسلام عقيدة وأيماناً، سلوكاً ونظاماً، عملاً وأخلاقاً، فكراً وسياسة، ثقافة وأقتصاداً. واذا كان هنالك من يضيف الى هذين السببين أسباباً اخرى فان محصلة كل ذلك تنتهي الى القول ان الوضع بحاجة الى تغيير جذري، الى تغيير يعيد الاسلام حاكماً، الى تغيير يخلص من التجزئة والتنازع والتقاتل، الى وحدة وتضامن وتعاون وتكافل والى تغيير يشحن في الأمة روح الجهاد والصبر والمصابرة بدلاً من روح التفكك والانحلال والفساد الخلقي باشكالها الموروثة من عصر الانحطاط أو بأشكالها الجديدة العلمانية التغريبية.

بكلمة.. ثمة إجماع على أن ما من خلاص للأمة عموماً إلا بذلك التغيير وأنه ما من تحرير لفلسطين وحل لمشكلتها إلا من خلال التغيير.

على أن طرح اشكالية التغيير بكل هذه الحدة يتطلب ان تقوم معادلة سليمة للعلاقة بين التغيير وتحرير فلسطين، فاذا كان التحرير غير ممكن الا بذلك التغيير فان التغيير بدوره بحاجة الى مجموعة من الشروط أو قل من العمليات والخطط والاجراءات من أجل إحداثه، وأن الجهاد في فلسطين وانتفاضات شعب فلسطين يشكلان شرطاً مركزياً من بين مجموعة تلك الشروط. فقد فرضت الأوضاع السائدة في الأمة عموماً وفي فلسطين والعالم، أو قل بعبارة أخرى ان طبيعة معركة التغيير والتحرير فرضت هذا التداخل بين العمليتين. فان تأجيل الجهاد في فلسطين بانتظار حدوث التغيير، لم يساعد على التغيير ولا أدى الجهاد في فلسطين الى تحريرها من غير ان يتحقق التغيير. مما يفرض الأستنتاج ان العمليتين متلازمتان غير منفصلتين. ومن ثم يصبح الجهاد في فلسطين ضرورة دون أن يكون بديلاً للتغيير أو مؤجلاً الى حين يتحقق التغيير.

بل يمكن ان يلاحظ أنه ضرورة ضمن الظروف المذكورة من أجل تهيئة ظروف الأمة للتغيير (ليس وحده بالطبع) لان الدماء المجاهدة والتضحيات الكبرى حين تقدم على الأرض المباركة سواء أكان ذلك من خلال مجاهدين بالسلاح أم كان من خلال انتفاضة الشعب المجاهد، نساء ورجالاً، شباباً وشيباً، شيوخاً وولداناً، تذكي نفوس الأمة وترفع من غضبها على أعداء الله، وتزيد من وعيها بضرورة المناصرة والمشاركة، كما أن تلك الدماء تزيد من عمق التناقض بين حاجة الأمة للتغيير وما يسود عليها من أوضاع. انها لكشاف هول المظالم التي أوقعها ويوقعها أعداء الأمة بها. انها لكشاف لكل من يتخاذل أمام أولئك الأعداء أو يواليهم طمعاً في سلطان، أو محافظة على سلطان أو أموال. واذا ما مضى هذا التحريض بالدماء المجاهدة على الأرض المباركة جنباً الى جنب مع التغيير المنشود خارج تلك الأرض ومن ثم أحسن انصار التغيير من الأفادة من كل ذلك وهم يعالجون ظروفهم الخاصة، فان آفاق التغيير تفتح بشكل أرحب ويزداد امكاناته ويقترب يومه اكثر فاكثر. واذا ما حدث هذا التغيير هنا أو هناك من بلاد المسلمين، لانه من غير الممكن ان يحدث دفعة واحدة بسبب التجزئة واختلاف الأوضاع والظروف، فعليه ان ينضم الى قافلة الجهاد ضد العدو في فلسطين (ربما من الخير دون ابطاء أو تأجيل) حتى يصبح بدوره الرافعة الأهم الى جانب جهاد أهل فلسطين في تهيئة ظروف الأمة وانضاجها من أجل مواصلة التغيير المنشود. ومن ثم فان الجهاد في سبيل الله لتحرير فلسطين والجهاد في سبيل الله لتغيير أوضاع الأمة عمليتان متوازيتان ومتكاملتان ومتداخلتان وأنه لمن الخطأ ان تطرح أحداهما بديلاً عن الأخرى أو أن تؤجل حتى تنجز الأخرى. وهذا ما يتطلب ان تكتشف الصيغ النظرية والعملية الصحيحة السليمة من أجل حسن أقامة التوازن الدقيق بينهما. لان الخطأ في التعامل وأيا هما أي في أقامة العلاقة الصحيحة بينهما سيضر بهما بالقدر نفسه الذي يضر جعل الواحدة منهما بديلاً عن الاخرى أو الامساك باحداهما وأهمال الثانية.

فلسطين قضية اسلامية

(٢)

العدو وفلسطين

لم تختر فلسطين لتكون بقعة اقامة الوطن القومي اليهودي عليها، ولم تتكاتف كل قوى الامبريالية العالمية والصهيونية العالمية من أجل اقامة ذلك الكيان وتدعيمه وتحويله الى قاعدة عدوان الا لمكانة فلسطين الاستراتيجية في العقيدة الاسلامية، والحضارة الاسلامية والجغرافيا العربية والاسلامية والتاريخ العربي-الاسلامي والأمن العربي والاسلامي. فأحتلاله لم يقصد لذاته وان كان الهدف هو خضوع الامة عقيدة وحضارة وتاريخاً وجغرافية وأمناً. فاحتلال فلسطين فصل المغرب العربي-الافريقي-الاسلامي عن المشرق العربي الاسيوي-الاسلامي. انها السيطرة على بقعة استراتيجية مركزية من زاوية الاستراتيجية العالمية في السيطرة على بلاد المسلمين، وعلى عقدة المواصلات الدولية. انها نقطة وثوب لاحتلال قناة السويس.. ونقطة وثوب الى أعماق البحر المتوسط والبحر الاحمر، وانها نقطة وثوب الى منابع النفط.

ان فلسطين بسبب مكانتها في القرآن والسيرة النبوية والحضارة الاسلامية تشكل معلماً أساسياً من معالم كبرياء المسلمين وعزتهم وحضارتهم وتاريخهم فاذا ما احتلت وكرس احتلالها وفشلت محاولات استعادتها، واذا توج ذلك بالاعتراف بشرعية هذا الاحتلال فسيمثل ذلك عنوانا لتحطيم ارادة الأمة وذلها وخضوعها وهوانها. انه تحطيم لنفسية الأمة وشل لارادتها وتمريغ لأنفها في العجز والوهن وبهذا يكون احتلالها جزءاً لا يتجزأ من:

١ - السيطرة على ممراتها الاستراتيجية الحيوية.
٢ - السيطرة على الأمة الاسلامية وتكريس تجزئتها.
٣ - تعريض أمنها للخطر ووضعه تحت التهديد المباشر من قناة السويس الى البحر الاحمر والبحر المتوسط حتى منابع النفط.
٤ - تحطيم ارادة الأمة وزعزعة معنوياتها ونفسياتها وصولاً الى فرض الاستسلام الدائم عليها ومن خلال الاقرار بشرعية الوجود له، والاقرار بحقه في الامن والتفوق العسكري والمراقبة، والاقرار بحقه في الوصول الى تطبيق اقتصادي واجتماعي وثقافي.
٥ - يشكل عماداً [illegible] مزق الأمة على أسس طائفية وأثنية وجهوية قد تصل الى قيام كيانات ردفة معادية لاسلام الامة ووحدتها ونهوضها.

إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا

صدق الله العظيم
(الطارق ١٥-١٧)

ومن هنا يتثبت مرة أخرى ان قضية فلسطين قضية إسلامية وتهم الأمة الاسلامية، مباشرة في عقيدتها ووحدتها ومنعتها وأمنها ومصالحها الاستراتيجية العليا وهذا يفترض من شعب فلسطين باعتباره جزءاً من الأمة كما يفترض من الأمة الاسلامية باعتبار شعب فلسطين جزءاً منها وأرضه جزءاً من ديارها، ان يتعاملا والقضية الفلسطينية انطلاقاً من أهميتها على المستويات والابعاد المذكورة أعلاه لا انطلاقاً من اعتبارها مجرد احتلال لارض اسلامية أو مجرد مشكلة جزئية. فكما ان الغرب والشرق أعلنا دون مواربة وجعلا الافعال تسبق الاقوال ان وجود الكيان الصهيوني وأمنه بالنسبة اليهم مسألة استراتيجية لا تقبل نقاشاً أو مساومة فيجب على الأمة الاسلامية، بما فيها شعب فلسطين، ان تعلن دون مواربة، وتجعل الافعال تؤكد الاقوال، ان قضية فلسطين بالنسبة اليهم مسألة استراتيجية لا تقبل نقاشاً أو مساومة. بكلمة اخرى، ان الولايات المتحدة يمكن أن تخرج من فيتنام وكمبوديا وتتخلى عن نفوذها فيهما ولكنها لا يمكن ان تسمح بانتهاء دولة اسرائيل أو المساس بامنها. أي تعاملها كولاية من ولاياتها وان فرنسا يمكنها ان تخرج من الجزائر أو المغرب ولكن لن تسمح بفك دولة اسرائيل. وكذلك الامر بالنسبة الى بريطانيا في الهند والاتحاد السوفياتي في أفغانستان. أما الأمر الذي لا يمكن ان يسمح به فهو انتهاء الوجود الكياني الصهيوني في فلسطين.. ولا يتأتى هذا كله بسبب أهمية ثروات فلسطين وانما بسبب أهمية الكيان الصهيوني في استراتيجية السيطرة على الأمة الاسلامية ولهذا لا يمكن ان تحطم هذه الدولة الا بتحطيم الارادة الدولية التي تقف وراءها. ولكن هذه بدورها لا يمكن ان تواجه ومن ثم تحطم الا من خلال الألف مليون مسلم وربما بعد ثلاثين عاماً عندما يصبحون الفي مليون وتزداد فيهم عوامل النهوض وتزداد في اعدائهم عناصر الانحلال والتدهور. وربما يحدث ذلك بعد ستين عاماً أو اكثر، ولكن لا طريق غير طريق الأمة الاسلامية اليوم وغداً وبعد غد في معالجة قضية فلسطين كما كان الحال أمس وقبل أمس، ولهذا لم يكن بلا مغزى اصلاً ان يتم احتلال فلسطين وانتزاعها من أيدي المسلمين بعد حرب عالمية، وبعد تحطيم دولة الخلافة الاسلامية.

بسم الله الرحمن الرحيم

وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله

صدق الله العظيم (المزمل ٢٠)

بين التحرير والتغيير

ان نجاح مشروع وعد بلفوره منفذاً من خلال الصهيونية العالمية والأمبريالية العالمية في اقامة الدولة الاسرائيلية عام ١٩٤٨ وتمكين تلك الدولة من البقاء، بل ومن التوسع والتحول الى قوة مسيطرة متفوقة عسكرياً من جهة، أما من جهة أخرى فان فشل الفلسطينيين والعرب والمسلمين في دحر ذلك المشروع ليدلان دلالة صارخة على أن أوضاع الأمة الاسلامية تحتاج الى التغيير. فالعلم الاسرائيلي اليوم على الأرض المباركة فلسطين ليشكل كشافاً لما ترزح تحته الأمة من تجزئة وتبعية لشرق وغرب ولما تعانيه بعض أجزائها من إحتلال خارجي ولما يفت في عضدها من وضع فاسد ومريض. وانه ليشكل دعوة صارخة الى ضرورة ان يعالج هذا الوضع اصلاحاً أو ثورة أو من خلال عمليات جراحية.

المهم يفرض كل ذلك التفكير بضرورة التغيير. فاذا كان البعض يعيد تشخيص العلة الى قوة الاعداء وتفوقهم في مجالات الأسلحة والتكنولوجيا والعلوم والأقتصاد والاعلام وتحكمهم في النظام العالمي سياسياً وعسكرياً وأقتصادياً وثقافياً وحضارياً، واذا كان البعض يعيد أسباب ذلك الى ولاة الأمور، وهؤلاء يعيدونه الى تمزقهم وصراعاتهم الجانبية، وعدم قدرتهم على توحيد الكلمة. وكل دولة تستطيع أن تدعي ان التقصير هو تقصير الدول العربية والاسلامية الأخرى. واذا كان البعض يعيده الى الضعف الناجم عما أنتشر من علمانية وتغريب في الأنظمة والمجتمعات، أو قل الناجم عن إتباع تلك السبل وعدم إتباع سبيل الله، سبيل الاسلام عقيدة وأيماناً، سلوكاً ونظاماً، عملاً وأخلاقاً، فكراً وسياسة، ثقافة وأقتصاداً. واذا كان هنالك من يضيف الى هذين السببين أسباباً اخرى فان محصلة كل ذلك تنتهي الى القول ان الوضع بحاجة الى تغيير جذري، الى تغيير يعيد الاسلام حاكماً، الى تغيير يخلص من التجزئة والتنازع والتقاتل، الى وحدة وتضامن وتعاون وتكافل والى تغيير يشحن في الأمة روح الجهاد والصبر والمصابرة بدلاً من روح التفكك والانحلال والفساد الخلقي باشكالها الموروثة من عصر الانحطاط أو بأشكالها الجديدة العلمانية التغريبية.

بكلمة.. ثمة إجماع على أن ما من خلاص للأمة عموماً إلا بذلك التغيير وأنه ما من تحرير لفلسطين وحل لمشكلتها إلا من خلال التغيير.

على أن طرح اشكالية التغيير بكل هذه الحدة يتطلب ان تقوم معادلة سليمة للعلاقة بين التغيير وتحرير فلسطين، فاذا كان التحرير غير ممكن الا بذلك التغيير فان التغيير بدوره بحاجة الى مجموعة من الشروط أو قل من العمليات والخطط والاجراءات من أجل إحداثه، وأن الجهاد في فلسطين وانتفاضات شعب فلسطين يشكلان شرطاً مركزياً من بين مجموعة تلك الشروط. فقد فرضت الأوضاع السائدة في الأمة عموماً وفي فلسطين والعالم، أو قل بعبارة أخرى ان طبيعة معركة التغيير والتحرير فرضت هذا التداخل بين العمليتين. فان تأجيل الجهاد في فلسطين بانتظار حدوث التغيير، لم يساعد على التغيير ولا أدى الجهاد في فلسطين الى تحريرها من غير ان يتحقق التغيير. مما يفرض الأستنتاج ان العمليتين متلازمتان غير منفصلتين. ومن ثم يصبح الجهاد في فلسطين ضرورة دون أن يكون بديلاً للتغيير أو مؤجلاً الى حين يتحقق التغيير.

بل يمكن ان يلاحظ أنه ضرورة ضمن الظروف المذكورة من أجل تهيئة ظروف الأمة للتغيير (ليس وحده بالطبع) لان الدماء المجاهدة والتضحيات الكبرى حين تقدم على الأرض المباركة سواء أكان ذلك من خلال مجاهدين بالسلاح أم كان من خلال انتفاضة الشعب المجاهد، نساء ورجالاً، شباباً وشيباً، شيوخاً وولداناً، تذكي نفوس الأمة وترفع من غضبها على أعداء الله، وتزيد من وعيها بضرورة المناصرة والمشاركة، كما أن تلك الدماء تزيد من عمق التناقض بين حاجة الأمة للتغيير وما يسود عليها من أوضاع. انها لكشاف هول المظالم التي أوقعها ويوقعها أعداء الأمة بها. انها لكشاف لكل من يتخاذل أمام أولئك الأعداء أو يواليهم طمعاً في سلطان، أو محافظة على سلطان أو أموال. وإذا ما مضى هذا التحريض بالدماء المجاهدة على الأرض المباركة جنباً الى جنب مع التغيير المنشود خارج تلك الأرض ومن ثم أحسن انصار التغيير من الأفادة من كل ذلك وهم يعالجون ظروفهم الخاصة، فان آفاق التغيير تفتح بشكل أرحب ويزداد امكاناته ويقترب يومه اكثر فاكثر. وإذا ما حدث هذا التغيير هنا أو هنالك من بلاد المسلمين، لانه من غير الممكن ان يحدث دفعة واحدة بسبب التجزئة واختلاف الأوضاع والظروف، فعليه ان ينضم الى قافلة الجهاد ضد العدو في فلسطين (ربما من الخير دون ابطاء أو تأجيل) حتى يصبح بدوره الرافعة الأعم الى جانب جهاد أهل فلسطين في تهيئة ظروف الأمة وانضاجها من أجل مواصلة التغيير المنشود. ومن ثم فان الجهاد في سبيل الله لتحرير فلسطين والجهاد في سبيل الله لتغيير أوضاع الأمة عمليتان متوازيتان ومتكاملتان ومتداخلتان وأنه لمن الخطأ ان تطرح أحداهما بديلاً عن الأخرى أو أن تؤجل حتى تنجز الأخرى. وهذا ما يتطلب ان تكتشف الصيغ النظرية والعملية الصحيحة السليمة من أجل حسن أقامة التوازن الدقيق بينهما. لان الخطأ في التعامل وأياهما أي في أقامة العلاقة الصحيحة بينهما سيضر بهما بالقدر نفسه الذي يضر جعل الواحدة منهما بديلاً عن الاخرى أو الامساك باحداهما وأهمال الثانية.

أيحسب أن لن يقدر عليه أحد
صدق الله العظيم
(البلد ٥)

البريسترويكا وافغانستان.

طلع غورباتشوف بنظرية أسماها البريسترويكا والغلاسنوست، أي الانفتاح واعادة البناء. وترجم ذلك بعدد من التغييرات في داخل الامبرطورية الروسية (الاتحاد السوفياتي) وفي سياستها الخارجية، ولا سيما في علاقته بالولايات المتحدة الاميركية واوروبا الغربية. ولقيت هذه التغييرات ترحيبا من الساسة الغربيين. والسيدة تاتشر وبوش.

ولم يأت هذا الترحيب نتيجة دعاية وادعاءات من قبل غورباتشوف وانما استند الى عدد من الوقائع العملية تتعلق بمعاملة المنشقين، وأغلبهم من اليهود السوفيات، وبتخفيف التوتر الدولي في اوروبا، وبالعلاقات الاميركية-السوفياتية. وهناك من أعتبر مواقفه من افغانستان وكمبوديا وانغولا والشرق الاوسط من علائم تلك السياسة.

يهمنا هنا الآن أن نتفحص نظرية «الانفتاح واعادة البناء» في تحليلها العملي في افغانستان. فقد ترجمت بمؤامرة سوفياتية اميركية شارك فيها الرئيس الباكستاني السابق ضياء الحق من خلال ما سُمي باتفاقية جنيف حول افغانستان. وهي وان تضمنت انسحابا للقوات السوفياتية المعتدية، وهذه مسألة هامة جدا. بعد أن اصبح الانسحاب تحصيل حاصل أثر فشل تلك القوات في حل القضية الافغانية عسكريا، الا ان الاتفاقية تضمنت في الوقت نفسه شطب المجاهدين الافغان. أي تضمنت ابقاء الحكم الدموي العميل مستمر في اضطهاد شعب افغانستان، وفي الدوران بفلك موسكو.

أي ترجم «الانفتاح واعادة البناء» في افغانستان بالسعي لتصفية المجاهدين واعادة احياء الحكم العميل. ولمّا قوبل ذلك بمقاومة شجاعة من قبل المجاهدين المؤمنين ترجم الانفتاح واعادة البناء بمزيد من التدخل السوفياتي والتدمير. ثم لمّا فشل ذلك ايضا واضطر السوفيات الى الدخول في مفاوضات مباشرة، مع المجاهدين ترجمت البريسترويكا الانفتاح بمحاولة تقسيم الصفوف الداخلية. وقد عُبّر عن ذلك من خلال اعادة المفاوضات مع ظاهر شاه، ومع مختلف اطراف المجاهدين انفسهم. ثم صَحِب ذلك كله أشد ألوان السحق للقوى المحيطة بخط الانسحاب وقد نقل شهود العيان ان قرى امحت من الوجود وأصبحت البيوت قاعا صفصفا، وانتشرت جثث الضحايا ولا سيما من الاطفال والنساء والشيوخ في الشوارع وداستها الدبابات البريسترويكية-الغلاسنوستية.

اذا كان للانفتاح واعادة البناء من معنى في افغانستان فلا يكون الا بالانسحاب الكامل وبلا مزيد من التقتيل والتدمير، وبالتخلي التام عن الحكومة العميلة الصنيعة لتُلقي مصيرها المحتوم، والأهم، وقف التآمر السوفياتي الهادف الى لبننة افغانستان، وتقسيمها. وأخيرا يجب أن يترك الشعب الافغاني حراً لاختيار قادته من بين المجاهدين الافغان الذين سطروا أروع الملاحم الاسلامية-الايمانية-البطولية.

اميركا والتواطؤ والعدو

كشف مؤخرا ان القيادة الاسرائيلية كانت وراء هرب فانونو، وما أدلى به من تصريحات ونقله من حقائق حول مصانع انتاج الاسلحة النووية في الكيان الاسرائيلي، وما تمتلكه من قنابل نووية ومن قدرة على نقلها. أما الهدف من وراء هذا الكشف هو دخول اسرائيل رسميا الى النادي النووي الدولي، الى تحول امتلاكها للاسلحة النووية كأمر واقع كما هو الحال بالنسبة الى الدول النووية الأخرى، ومن ثم لا يسري عليها ما يمارس من ضغوط لمنع انتشار الاسلحة النووية وبهذا تقتصر الضغوط، على الدول العربية والاسلامية اساسا:

وعلّق وزير الدفاع الاسرائيلي رابين على احتمال امتلاك بعض الدول العربية لأسلحة كيماوية فقال «ان أية دولة تستخدم هذه الاسلحة ضدنا سنرد عليها بمائة ضعف»، واذا كان هذا التصريح لم يوضح نوع الرد أهو بالاسلحة النووية أم الكيماوية. فلا يخفي على ذي بصيره انه يعني الخيارين في آن واحد.

انه لمن الضروري تسليط الضوء هنا على نقطتين الاولى تتعلق بالولايات المتحدة الاميركية التي شنت حملة شعواء على ليبيا واستعدت لتعلن الحرب عليها لمجرد الاشتباه بوجود مصنع يحتمل انه يعد لانتاج أسلحة كيماوية.

وهذا هو موقفها المبدئي بالنسبة الى أية دولة عربية أو اسلامية تقترب من انتاج السلاح النووي والكيماوي. أما ما كشف عنه في الكيان الصهيوني من امتلاك للاسلحة النووية والكيماوية والجرثومية وما أعلنه رابين رسميا فلا يحرّك في اميركا شعرة واحدة، مما يضيف دليلا جديدا الى الاعتقاد بانها متواطئة أصلا في انتاج تلك الاسلحة واسرائيل أو في الاقل هي وراء تشجيعها على ذلك. ومن ثم يجب أن يكون واضحا للامة الاسلامية ان كل ما يثار اميركيا وغربيا حول الاسلحة النووية والكيماوية انما هو موجه اساسا ضد الدول العربية والاسلامية ويراد منه ابقاء التفوق الاسرائيلي عليها ليس بالاسلحة التقليدية فحسب وانما ايضا بالاسلحة النووية والكيماوية. ومن هنا يمكن الدخول الى النقطة الثانية وهي المتعلقة بهذا، موقف الدول العربية والاسلامية عموما سواء أكان من ناحية الرد على أمريكا أم من ناحية السعي والعمل الحثيث لامتلاك القدرة الرادعة ضد ما يملكه عدو الامة من أسلحة تقليدية وغير تقليدية.

انها لأمانة وما أعدل حساب رب العالمين عليها، وما أشد حكم التاريخ والامة على من يفرط بها، أو يخونها، أو لا يقوم باستحقاقاتها.

بسم الله الرحمن الرحيم

زيارة شيفارنادزة العربية

شهد العامان الماضيان انسحاباً سوفياتياً منتظماً، وصامتاً، من التدخل النشط في السياسة العربية ولاسيما في المشرق العربي. وجاء ذلك ضمن اطار العلاقات السوفياتية-الامريكية التي مالت الى اعطاء امريكا الدور الاكبر في هذه المنطقة من مناطق صراع النفوذ بين الدولتين الكبريين. فقد كان للاتحاد السوفياتي اولويات اخرى اراد انتزاعها من الوفاق الجديد بينه وبين امريكا. لكن الاتحاد السوفياتي لم يغب تماماً أو لم ينسحب الا جزئياً. فقد لعب دوراً نشطاً في التأثير في قرار المجلس الوطني الفلسطيني ١٩ في الجزائر، وراح يحسن من علاقاته، بهدوء، مع كل من الكيان الاسرائيلي، والاردن، ومصر، ودول الخليج. وان كان دوره أشد بروزاً في حرب الخليج، وكان له الدور الأول في اتفاقية جنيف حول افغانستان.

على أن زيارة شيفارنادزة الى المنطقة في الثلث الاخير من شهر شباط (فيفري-فبراير) تؤشر الى تطور جديد في الدبلوماسية السوفياتية. فالزيارة الى الاردن تشكل خطوة ذات مغزى، واللقاء بممثل عن الدولة الاسرائيلية في القاهرة يحمل مغزى كذلك.

فالتفسير الاول الذي تحمله هذه الزيارة هو بدء هزّ العصا لادارة بوش وللدور الاوروبي الذي تنشط كثيراً حول القضية الفلسطينية مؤخراً. ولا معنى لمحاولة التقريب بين دمشق وم.ت.ف.، في هذا الوقت بالذات، إلا السعي لاستعادة بعض الاوراق التي يعتبرها الاتحاد السوفياتي أقرب اليه في منطقة المشرق العربي لتكون ضمانته في إعادة صياغة مساومته مع الولايات المتحدة الامريكية في عهد الادارة الجديدة. وهو بحاجة الى إعادة إمساك تلك الاوراق لمقايضتها باولويات اخرى أهم بالنسبة اليه في اطار اعادة صياغة مساومته مع امريكا من جهة، وهو بحاجة، من جهة اخرى، الى إعادة القبض على تلك الاوراق ليبقى حاضراً، محفوظ النصيب، وقد لاحت بوادر تطور جديد في الوضع اللبناني، ولكي لا تذهب م.ت.ف. بعيداً في علاقاتها الاوروبية-الامريكية، ولكي لا تذهب امريكا بعيداً، في تجاهل حصته في منطقة المشرق العربي.

وبعد، فالى متى تظل بلادنا العربية-الاسلامية اوراقاً في «لعبة الامم» وصراع الدول الكبرى ووفاقهم؟ ومتى تعود الامة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً فلا يخرقه نفوذ شياطين الارض، ولا تضعضعه اطماع الطامعين وتعبث به ألاعيب اللاعبين.

خطوتان عربيتان في شهر

حدثان مهمان شهدتهما الساحة العربية خلال شهر شباط (فيفري-فبراير) المنصرم: أولهما أعلان الاتحاد المغاربي (دول المغرب الخمس) على أساس السير باتجاه توحيد السوق الاقتصادية وإقامة مشاريع مستقبلاً وتوحيد المواقف ازاء العلاقة بالسوق الاوروبية المشتركة التي ستدخل مرحلة اتحادية عام ١٩٩٢. وثانيهما إعلان قيام مجلس التعاون العربي بين العراق ومصر والاردن واليمن الشمالي.

ولقد استقبلت أجهزة الاعلام الرسمية في البلدان المعنية، ووفقاً للاتحاد المعني، الخطوة التي شاركت بها دولتها استقبالاً حاراً. وبالغت بالترويج لها، وعقد الامال عليها، واطنبت في الحديث عن مزاياها، كأننا أمام خطوة وحدة كبرى لا إنفصام لها. وهي تعلم علم اليقين أن الخطوة أكثر تواضعاً بما لا يقاس مما تتكلم عليها، وهي، ولاشك موجسة خيفة، ان تعود الى انتكاس، اذ التجاريب الماضية قاسية في هذا المضمار.

قبل الاسترسال في ابداء مثل هذه الملحوظة تود «السبيل» ان تؤكد ترحيبها بكل خطوة تقرّب بين البلدان العربية والاسلامية جماعياً أكانت، أم مثنى وثلاث ورباع. وهي ترى في كل خطوة تعاونية بين تلك البلدان، حتى لو كانت في مجال قيام شركة اقتصادية مشتركة عملاً إيجابياً. وهذا الموقف يجب ان يتخذ على هذه الصورة حتى لو انفرط عقد تلك الخطى المتواضعة غداً. لان من الضروري التعبير دائماً، عن توق الأمة الى الوحدة الكبرى كما ارادها لها رب العالمين [ان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون] (الانبياء: ٩٢). ولأن هذا التعبير عن هذا التوق يشكل إدانة، ولو عن طريق غير مباشر، للفرقة والتجزئة، فضلاً عن التنازع والتقاتل

■ لا يظنن أحد أن ترحيب الناس بأية خطوة تقرب، أو توفق، تصلح ذات البين يعني ان الأمة راضية على الأوضاع القائمة، أو أنها سترضى من الآن فصاعداً. فالاوضاع الراهنة ما زالت غارقة حتى العظم والنخاع في خطة التجزئة التي رسمها الاستعمار لتمزيق الامة الاسلامية -وعلى الخصوص الامة العربية الاسلامية- الى دول ودويلات متباعدة.. متصارعة.. علاقات كل منها اقتصادياً، وثقافياً، وسياسياً بالعواصم العالمية الامبريالية أقوى كثيراً من علاقاتها بعضها ببعض: وما تعاونوا تعاوناً قوياً، من قبل، إلا عبر اجهزة الأمن: [فتنازعوا أمرهم بينهم واسروا النجوى] (طه: ٦٢). فعندما يُرحب بخطوة تقريبية، ولو اقتصادياً، ولا نسميها وحدوية، ما ذلك الا الدليل على مبلغ اليأس من هذه الاوضاع أو هو تعلق الغريق بقشة!

إنه، إذن، تأييد وترحيب أولاً وقبل كل شيء، وبالرغم من كل شيء، ثم بعد ذلك لابد من سؤال:

■ اذا كان من الممكن ان تحدث هذه الخطوات اليوم فكيف يفسر الأمس؟ واذا كان الفضل كل الفضل في تحقيق هذه الخطوة أو تلك لهذا الرئيس أو ذاك الملك، «فالفضل» لمن فيما حدث بالأمس من فرقة، وفيما سيحدث غداً من تمزيق، لا سمح الله، حتى هذا التقارب البسيط -نكاد نسميه الهزيل- على طريق الوحدة؟

وبعد، فبالرغم من كل ذلك نرجو من الله الاّ يجعل من ذينكما الحدثين خيبة جديدة للامة تضاف الى خيباتها ولوعاتها من كثير من أولي الأمر فيها سواء أكان ذلك في مجال الوحدة، أم في مجال مقارعة العدو الصهيوني، أم في مجال جعل كلمة الله هي العليا.

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. صدق الله العظيم (الحشر ١٨)

التزام الحق والحقيقة

ان من اصعب الامور في حياة المجاهد هو حسن حكمه على الاشخاص الذين يعملون في الساحة العقدية ـ السياسية. وتنشأ الصعوبة من التناقض الذي يمكن أن يقوم بين ما يُعلن المرء وما يُمارس، أو بين رأيه حول جماعته أو شخصه من جهة وبين حقيقة جماعته وحقيقته. هذا التناقض يمكن أن يتمثل في جماعة ما أو شخص ما حتى دون أن يشعر به، أو تشعر الجماعة به، ولا سيما حين يتعلق الامر بالامور العملية السياسية. واذا كانت هذه الظاهرة منتشرة بين الذين لا يعملون في السياسة الا انها سهلة الانكشاف هناك أي في مجالات الاخلاق الفردية، والمعاملات التجارية. فلو افترضنا أن رجلا يدعي التقوى ويؤكد انه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولكنه يتردد على حانات الخمر أو يتعاطى الخمر، أو الميسر، أو الزنا. فلا أسهل من وضع اليد على التناقض الصارخ بين ما يعلن وما يمارس. ومن ثم ما أسهل ان يحكم عليه انطلاقا من عمله لا من أقواله أو رأيه حول نفسه. وان الامر لكذلك بالنسبة الى التاجر حين يتكلم على الايمان والاستقامة والقسط ولكنه يطفف بالميزان ويبخس الكيل أو يغش المشتري باعطاء أوصاف كاذبة لسلعته. فهذه الممارسة سهلة الانكشاف، ولا يمكنها ان تعمر طويلا. فالسرقة بالميزان والكيل تظهر لا محالة، والغش في ترويج السلعة يبين ولا ريب. ومن هنا سهل الحكم على التاجر اذ تخالف أعماله أقواله. وسهل أن يرفع بوجهه قول الله تبارك وتعالى: [يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون] (الصف، ٢، ٣).

كان الشهيد حمدي يتوقف دائما أمام الآيات الكريمة الموجهة الى المؤمنين، الى الذين آمنوا، وهي تحذرهم من كيت وكيت، كالآية التي حذرتهم أن يفعلوا ما لا يقولون.. فقد كان يلفت الانتباه الى ان الانتساب الى الاسلام، والانخراط في صفوف المؤمنين، لا يعنيان أن الانسان اصبح محصنا من الوقوع بالاخطاء والخطايا، أو انه اصبح غير قابل لانحراف، أو لارتكاب المعاصي والآثام. ومن ثم ان رحلة الايمان تعبر طريقا طويلا يقف شيطان وراء كل منعطف فيها وربما وراء كل حجر وكل شجرة، واذا لم ينتبه المؤمن الى مكائد الشيطان ودسائسه ووسواسه. أو قل اذا لم ينتبه الى ما في داخله من أهواء ونزعات وشهوات، وما يتعرض له من امتحانات تستغل ضعفه سواء كانت تلك الامتحانات اغراء سلطة، أو مال، أو جاه، أو أمن، أو شهرة، أو طيب اقامة، أو خروج من محنة أو كانت ضغطا، وقهرا، وقتلا، وسجنا، وتشريدا، وفقرا، وغير ذلك. ومن هنا كانت رحلة الايمان صراعا مستمرا ضد الباطل والشر بكل ألوانهما، الامر الذي يقتضي الحذر على مستوى الفرد ومستوى الجماعة والعلماء ومستوى الدولة، والمؤسسات حتى يتقوى الايمان باستمرار وحتى ينطبق الالتزام بالقرآن والسنة على الافعال والممارسة.

وقد لوحظ، فيما تقدم، ان التنبه الى التناقض بين الاقوال والافعال، أو بين ما يعلن وما يمارس، سهل في بعض الامور كالاخلاق الشخصية، ولا سيما، فيما يتعلق بالحلال والحرام، أو في المعاملات. ولكن أشير الى ان الامر يختلف عندما يتعلق ذلك بالعمل السياسي أو العمل الدعوي. لأن التعامل هنا يحمل تعقيدات كثيرة تصعّب عملية التثبت من تطابق الاقوال والافعال. ففي المعاملات التجارية يقع التطفيف في الميزان أو تزوير الوثائق أو الغش في السلطة في أمور مادية ملموسة يسهل التثبت عبرها من تطابق الاقوال والافعال أو عدم تطابقها. كما ان التثبت من ذلك سهل في كثير من جوانب الاخلاق الفردية حين تمارس انحرافات شكلية أو اخلاقية، كالسكر أو تعاطي الميسر وغير ذلك. أما في عالم السياسة فهنالك مجال واسع للتطفيف في الميزان والبخس بالكيل عندما يحكم المرء على نفسه، أو حزبه، أو فئته، فهو يستطيع أن ينسب لجماعته قوة فوق قوتها الحقيقية، وأعمالا لم تقم بها كلها، أو فضائل ليست فيها أو بكلمة اخرى يستطيع المرء هنا أن يبالغ في مدح فئته، ويبالغ في ذم منافسيه أو خصومه دون أن تكون هنالك امكانات ملموسة ومأمونة لكشف تلك المبالغة، أو ذلك الغش فكيف يمكن أن يذهب المستمع اليه فيحصي قوته أو ضعف خصمه، أو يتثبت من حقيقة أقواله وما نقل من أخبار وقصص عن نفسه وعن غيره. ومن هنا كان من السهل أن يقوم التناقض بين الاقوال والافعال ولا يُكتشف الا بعد زمن طويل، أو من بعض الافراد القلائل الذين لا يستطيعون إبانة الحقيقة، بل لو حاولوا فيمكن لاية جماعة منظمة أن تلفّق الاتهامات وتشكك بنياتهم وتفرض عليهم العزلة عن جماعتها. ذلك بان الروح الحزبية والفئوية مهيأة دائما لأن تعمى عن رؤية الحقائق بسبب حرصها على الحزب والفئة حيث عقدت الآمال العراض، أو بسبب ما تضعه من ثقة غير محدودة بقياداتها التي تسعى صباح مساء، لتربيتها على هذا الطراز من الثقة، أو بسبب الصراعات الحزبية والفئوية وما تولده من الاستعداد لتصديق ما يوجه من تهم للخصوم أو لمن يعتبر قد خرج عن الجماعة أو بسبب الخوف على الجماعة من بطش اعداء الاسلام وإفادتهم من الثغرات التي يجب عدم الاقرار بها، وبهذا يلاحظ تعقيد آخر يمنع من رؤية التطابق بين الالتزام بالاسلام من جهة وبين الممارسة من جهة اخرى.

يبقى السؤال، أثمة حل لمواجهة هذه المعضلة؟

الجواب بلى ما دام دليلنا القرآن والسنة. لأن ما من خطأ أو عيب أو خطيئة الا وفي القرآن والسنة ما يهدي اليه. ولكن المعضلة هي في امتلاك ادوات المنهج الذي يوصل الى اكتشاف ذلك في خضم العمل السياسي.

ويبدأ ذلك في أن ينمي المرء في نفسه كل ما يعرفه عن أخلاق الاسلام ومواقفه ويطبق على مجال العمل السياسي والدعوي. فلا يحسبن التطفيف بالميزان مسألة تتعلق بالتجارة فحسب، وانما يجب أن يرى ذلك في المبالغة في مدح الذات أو ابخاس قدر الآخرين، ولا يحسبن أن القسط والعدل لا ينطبقان على العمل السياسي والدعوي سواء أكان ذلك مع النفس أو الصديق أو الخصم وحتى العدو. فاذا كان على المرء أن يقسط ولو كان ذا قربى فعليه أن يرى الآية الكريمة [واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى] (الانعام ١٥٢)، لا تنطبق على الاخ والعم والاهل فحسب، وانما، ايضاء على اعضاء الفئة الواحدة والجماعة الواحدة، بل على كل من ربطت بينهم عصبية. ومن ثم يكون القسط والعدل هنا ألاّ يكيل المرء بمكيالين ومعيارين في القضيه الواحده. فترى البعض يسوغ حين يتعلق الأمر بالنفس أو الجماعة التطفيف والمبالغة، ويغض النظر عن التجاوزات والاخطاء أما حين يتعلق الامر نفسه بالآخرين (الفئات التي تعتبر منافسة أو بينه وبينها خصومة) فتقوم الدنيا ولا تقعد تشهيرا «بافتراءاتها» و«أكاذيبها» و«مبالغاتها» «وادعاءاتها» وغير ذلك. ان مجال هذا التطفيف بالميزان، أو الكيل بمعيارين، واسع جدا في مجال العمل السياسي، فبالاضافة الى المثل السابق هنالك، على سبيل المثال الحالة التي تسوغ فيها لنفسك تحالفات معينة، أو اتصالات سرية معينة، أو مهادنات هنا وهناك معينة، ولكنك تحرمها على غيرك تحريما.. الامر الذي يوجب ان نكتشف مثل هذه الاخطاء، أو العيوب، أو الخطايا. وذلك بالتعود على ملاحظة كل مسلك يحمل صفة الكيل بمعيارين في قضية واحدة أو متشابهة. وتكفي درجة من اليقظة والانتباه اذا توفر الحرص على الالتزام بالاسلام حتى تكتشف مثل تلك الاخلاقيات والمسلكيات في العمل السياسي والدعوي.

وثمة منهجية تساعد على اكتشاف الحقيقة، وهي أن يحسن المرء جمع الحوادث والمؤشرات الصغيرة المتناثرة في الممارسة العملية ومن ثم يخرج من ذلك باكتشاف الخط الذي يربط فيما بينها. أي يكشف تناقض الخط الذي يمارس والخط الذي يعلن، ويكشف تماسكه وتطابقه.

ويمكن هنا طرح المثال التالي، عندما تلتقي شخصا في العمل السياسي والدعوي وتسمعه يحدثك عن الاخوة في الاسلام، والتكافل بين المسلمين، ويحدثك عن وحدة الصف والاعتصام بحبل الله. ثم في عشرات الجزئيات في الممارسة يفعل عكس ذلك تماما، فتراه، كلما ذكر له اسم مسلم ينتمي لفئة اخرى، أو بايع عالما آخر، أو ذكرت جماعة بعينها، يسن سكاكينه ليبدأ عملية الذبح والسلخ. وعندما يتكرر هذا الموقف مع اطراف عدة فهذا يعني انه نهج عملي لا علاقة له بما يعلن عن الأخوة في الاسلام، ووحدة الصف، والتكافل وغير ذلك. أي أنك تستطيع من خلال هذه الجزئيات ان تكتشف حقيقة الموقف. واذا ما اكتشفت حقيقة الموقف وكنت تحمل في قلبك الدليل ـ القرآن والسنة، سهل عليك الحكم السليم.

مثال آخر، اذا استهل محدثك حديثه بالقول «انا» أو «نحن» ثم استدرك قائلا أعوذ بالله من قول «انا ونحن» (يعني فئته) ثم أشار الى الآية الكريمة [فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى] (النجم ٣٢) ثم تراه بعد أن يكون قد انام يقظتك من هول الصدمة الاولى يعود سيرته الاولى فيتابع حديثه حول هذه القضية أو تلك الحادثة بالقول «فعلت كذا، أو فعلنا كذا، ورأيي كذا، ورأينا كذا، وقمنا بكذا، ونحن لا نريد ان ندعي.. أو نتحدث عن انفسنا ولكننا، في الحقيقة، نحن الذين.. الخ» اما انت اذا تنبهت الى مجموع هذا الحديث، وربطت بين الشذرات هنا وهناك فستكشف حقيقة الموقف. ومن ثم يسهل عليك التوصل الى الحكم الصائب. أي اجعل سقطات السنتهم وايديهم وأرجلهم تشهد على حقيقة أفكارهم وأعمالهم، ولا سيما بعد تكرار.

مثال آخر، اذا تتالت التقارير التي ترسل من المعنيين الى زملائهم حول مختلف القضايا والاحداث ثم تبين ان الخط الجامع فيما بينها، في أغلب الحالات، إما المبالغة، وإما عدم الدقة، وإما مجانبة الحقيقة، فان الحكم هنا يتطلب ملاحظة التناقض بين ما يعلن من أقوال حول الصدق والامانة والطهارة من جهة وبين ما يأتي من تقارير، طبعا ثمة تعقيد خاص هنا ينشأ من ان كل قضية تعالج عادة منفصلة عن القضايا الاخرى، كما أن التثبت، عن وعي أو عن طريق الصدفة، من عدم تطابق التقرير والحقيقة لا يأتي دفعة واحدة وانما يبدأ بحدث ما بقضية عابرة. وهذا يجب أن يكون كناقوس الخطر، أي يجب ان يزيد الانتباه الى التقارير الاخرى، ويتحول التثبت منها الى نهج، ويرفض قبول ما يصدر من أحكام بلا تثبت ودليل، بل بلا بحث عن دليل، فاذا جاء تقرير عن انسان ما انه انحرف أو ارتكب الخطأ الفلاني فيجب ألاّ يقبل ذلك دون التثبت مما سبق من تهم أو وقائع، والسعي للتأكد من ذلك عبر أطراف حيادية، أو من الشخص المعني نفسه، لأن اعتبار كل ما يأتي من القيادة صادقاً يحمل في طياته خللا منهجيا حتى لو قامت في الماضي عدة دلائل على صدق ذلك المصدر. فالمطلوب ليس عدم التصديق، وانما ضرورة التثبت والتيقن. ان التحلي بهذه المنهجية، منهجية البحث عن الحقيقة وتحريها، ورفض ابتلاع ما يُوضع في الفم دون مضغ وحسن تذوق، لا يخدمان الحقيقة والحق والعدل والقسط فحسب، ولا يخدمان الحرص على تطابق الاعمال والاقوال فحسب، وانما يخدمان ايضا الفئة المعنية نفسها حين تتأكد أن قواعدها وكوادرها ذوو منهجية اسلامية تبحث عن الحقيقة، وتنشد القسط. مما يقربها من التزام الصدق والعدل ويعلمها أن تجعل الاقوال مطابقة للافعال والا خسرت قواعدها وكوادرها، وبهذا تقوم الضمانة لحسن خدمتها للاسلام. واذا كانت هنالك نزعات سلطوية لمنع المنخرطين في الجماعة المنظمة أو الملتزمة بعالم محدد، أو بخط محدد، من أن تسأل وتتثبت وتتحقق وتحمل الامانة المعترف بها من الجماعة من حيث المبدأ، بل الامانة المكلفة بها من رب العالمين، فيجب أن تقاوم تلك النزعات ولا سيما نزعات الامساك بالتنظيم بقبضة حديدية وتربية على روح الطاعة العمياء أكثر من روح البحث عن العدل والقسط والحقيقة والطاعة الواعية. كما يجب ان تعارض اساليب الاقصاء والابعاد، أو اشكال الضغط أو الاغراء، أو حتى الارهاب حين تمارس ضد الساهرين على الحقيقة والالتزام بالشرع.

فالجماعة التي تلتزم التقوى وتجعل أقوالها رافعا لها متطابقة، وتحرص على العدل والقسط مع العدو والخصم كما مع النفس والصديق والحليف هي القادرة على التماسك والوحدة وبناء التنظيم القوى والاسهام في توحيد صفوف المسلمين وتحدي الاعداء، وتحقيق الآمال، أما التماسك والوحدة اذا قاما على تضارب بين الاسلام والممارسة العملية في

السياسة فنتائجها وخيمة في الدنيا والآخرة.. والله أعلم.

مثال آخر، من بعض السياسات العربية. فثمة بعض الحكومات العربية، وحتى على مستوى القمم العربية، تؤكد ان القضية الفلسطينية هي القضية العربية الاولى أو القضية الاسلامية الاولى بالنسبة اليها. ولكن عندما تلاحظ تلك السياسات في تفصيلاتها المتعددة سيلاحظ ان لها أولويات أخرى متعددة تسبق الاهتمام بالقضية الفلسطينية. وهذا ما يمكن أن يُرى في تحالفاتها العربية والدولية وفي نقاط صدامها. فاذا ما وجدت على سبيل المثال، ان لها نقطة اشتباك أو أكثر مع جيرانها، ولا تجدها مشتبكة مع العدو الصهيوني واذا لمست من مساعداتها المالية ان قضية فلسطين تحظى على آخر المراتب، هذا اذا كان لها من مرتبة، فلا يمكن أن يكون قولها ان القضية الفلسطينية قضيتها الاولى مطابقا لواقع سياساتها وفعلها وممارساتها. وينطبق هذا على غير الحكومات من أحزاب ومؤسسات وأفراد. أي يحكم على الأولوية بالنسبة لكل سياسة لا من خلال ما تعلنه وانما من خلال ما تمارسه من صدام مع من وضد من؟ وفي أي اتجاه؟ ومن خلال ما تمارسه من تحالفات وعلاقات..

مثال آخر إذا أعلن شخص، أو فئة من الناس، انهم يعملون لوجه الله وان جهادهم في سبيل الله خالصا من أية مصلحة ذاتية، أو متحررا من أية مكاسب دنيوية. ولكن عندما تراجع السياسات التطبيقية في هذا المجال، تجدها على غير تلك الصورة في التفاصيل والمواقف الجزئية، أي تجدها، على سبيل المثال، حريصة أشد الحرص، بتزكية نفسها والاعلام عن اعمالها، وحريصة أشد الحرص على القيادة وامساك كل شيء بيدها، واذا وجدتها ترتب تحالفاتها لا على اسس مبدئية، ولا على اسس معلنة وإنما اخذت تمارس تحالفات بالسر وتنكرها بالعلن أو تعطي صورة لها غير صورتها الواقعية فهذا يعني اننا حيال حالة لا تنطبق افعالها على اقوالها.

من هنا يلاحظ ان على المجاهد تعلم المنهج الصحيح في قراءة وقائع الممارسة بالايدي والارجل والألسن وليس قراءة بعض المكتوب أو المعلق فقط. ان تعلم قراءة الوقائع الصغيرة (تجميعها والربط فيما بينها) ومعرفة ابعادها ومغازيها، وادراك اتجاهها العام يشكل شرطاً اساسيا للاقتراب من حسن الحكم على الاشخاص والسياسات والجماعات والانظمة والمؤسسات. بل ان هذه المنهجية تعلم المرء أن يكون صارما في محاسبة نفسه، يقظا من كبواتها ونزعاتها وأهوائها. فلا يطمئن لما يعلنه ويصدقه، بينما ممارسته الحقيقية غير ذلك، ولا يطمئن الى رأيه حول ذاته أو تقديره للآخرين اطمئنانا نهائيا لأن عليه التنبه من عمى الغرور، ومن عمى العصبية والخصومة، أو التنافس، أو العداوة كما من المتغيرات التي تحدث للفرد والجماعة الى خير أو الى شر، الى استقامة أو اعوجاج. أي عليه ان يحسن قراءة تفاصيل ممارسته وحقيقة احاسيسه حتى يقيم التوازن بين هواه والحق، أو بين قوله وفعله. وبهذا يتعزز اسلامه ويتقوى ايمانه، بل ان هذه المقالة، تهدف أول ما تهدف، الى ان نطبق ما تقدم على انفسنا وأصحابنا وفئاتنا وعلى من نحب ونصادق ونحالف قبل تطبيقه على من بيننا وبينه خلاف أو شقاق أو خصومة، أو عداوة.

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قاربوا وسددوا، واعلموا انه لن ينجو أحد منكم بعمله» (رواه مسلم)، وفسر النووي «المقاربة» : «القصد الذي لا غلو فيه ولا تقصير». «والسداد» : الاستقامة والاصابة (رياض الصالحين).

البقاء لله يا «فلسطين الثورة»

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ. صدق الله العظيم (فصلت ٥٣)

مجلة «فلسطين الثورة» الناطقة باسم م.ت.ف. وضعت العمود المخصص لسجل الشهداء فيها تحت عنوان «البقاء للوطن». ويبدو ان المسؤول عنها يخشى ان يرتكب خطأ ايديولوجياً اذا وضع ذلك العمود تحت العنوان «البقاء لله» وفقاً للعقيدة الاسلامية، وإيمان الشعب بما في ذلك النصارى من الفلسطينيين.

تحمل هذه اللفتة، على تواضعها، مغزىً عميقاً، فهي تدل على نهج متغرب يهدف الى حرف العقول والابتعاد عن العقيدة الاسلامية، وهي تتطاول، أيضاً، على الشعب الذي تدعي «فلسطين الثورة» تمثيله.

وبالمناسبة، شنت حملات على الاسلامين اتهمتهم بالتنكر للوطن واقامة التعارض بينه وبين الاسلام. فمن ذا الذي يقيم هذا التعارض؟ أوليس الذين يتنكرون للاسلام، بل لله، ويستخدمون اسم الوطن بديلاً حتى في مقام الحديث عن شهداء.

واذا كنا لا نأخذ على «فلسطين الثورة» حبها للوطن أو دفاعها عن فلسطين، فهذا وذاك من واجبات المسلم، وإنما ننكر عليها التنكر للعقيدة، والتطاول على إيمان الشهداء، إذ تتعمد وضع عبارة «البقاء للوطن» في مقام «البقاء لله». فهؤلاء الشهداء في اغلبيتهم الساحقة سقطوا وهم يرددون مع نفسهم الاخير «لا إله إلا الله» راجين من الله الرحمة وجنان الخلد. وقد ذكروا قوله تبارك وتعالى: [ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام] (الرحمن: ٢٧)

السبيل
تصدر عن دار الاسراء للطباعة والنشر
اوسلو-النرويج.
المراسلات والاشتراكات على العنوان التالي:

AL SABÎL
ISRAA HOUSE
0232/ OSLO.1
P.O. Box -9902- NORWAY

بسم الله الرحمن الرحيم

ميثاق حركة المقاومة الاسلامية في فلسطين[1]

مواقفنا من:

الحركات الاسلامية

المادة الثالثة والعشرون:

تنظر حركة المقاومة الاسلامية إلى الحركات الاسلامية الأخرى نظرة احترام وتقدير، فهي إن اختلفت معها في جانب أو تصور، اتفقت معها في جوانب وتصورات، وتنظر إلى تلك الحركات إن توفرت النوايا السليمة والاخلاص لله بأنها تندرج في باب الاجتهاد، ما دامت تصرفاتها في حدود الدائرة الاسلامية، ولكل مجتهد نصيب.

وحركة المقاومة الاسلامية تعتبر تلك الحركات رصيداً لها، وتسأل الله الهداية والرشاد للجميع، ولا يفوتها أن تبقى رافعة لراية الوحدة، وتسعى جاهدة إلى تحقيقها على الكتاب والسنة.

[واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون](آل عمران:١٠٢).

المادة الرابعة والعشرون:

لا تجيز حركة المقاومة الاسلامية الطعن أو التشهير بالأفراد أو الجماعات فالمؤمن ليس بطعان ولا لعان، مع ضرورة التفريق بين ذلك وبين المواقف والتصرفات للأفراد والجماعات، فعندما يكون خطأ في المواقف والتصرفات فلحركة المقاومة الاسلامية الحق في بيان الخطأ والتحذير منه، والعمل على بيان الحق وتبنيه في القضية المطروحة بموضوعية، فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها.

[لا يحب الله الجهر من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً. إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً](النساء:١٤٧-١٤٨).

الحركات الوطنية على الساحة الفلسطينية:

المادة الخامسة والعشرون:

تبادلها الاحترام، وتقدر ظروفها، والعوامل المحيطة بها، والمؤثرة فيها، وتشد على يدها ما دامت لا تعطي ولاءها للشرق الشيوعي أو الغرب الصليبي، وتؤكد لكل من هو مندمج بها أو متعاطف معها بأن حركة المقاومة الاسلامية حركة جهادية أخلاقية واعية في تصورها للحياة، وتحركها مع الآخرين، تمقت الانتهازية ولا تتمنى إلا الخير للناس أفرادا وجماعات، ولا تسعى الى مكاسب مادية، أو شهرة ذاتية، ولا تبغي أجراً من الناس، تنطلق بامكاناتها الذاتية وما يتوفر لها [وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) لأداء الواجب، والفوز برضوان الله، لا مطمع لها غير ذلك.

وتطمئن كل الاتجاهات الوطنية العاملة على الساحة الفلسطينية، من أجل تحرير فلسطين، بأنها لها سند وعون، ولن تكون إلا كذلك، قولاً وعملاً، حاضراً ومستقبلاً، تجمع ولا تفرق، تصون ولا تبدد، توحد ولا تجزيء، تثمن كل كلمة طيبة، وجهد مخلص، ومساع حميدة. تغلق الباب في وجه الخلافات الجانبية، ولا تصغي للشائعات والأقوال المغرضة، مع إدراكها لحق الدفاع عن النفس.

وكل ما يتعارض أو يتناقض مع هذه التوجهات فهو مكذوب من الأعداء أو السائرين في ركابهم بهدف البلبلة، وشق الصفوف والتلهي بأمور جانبية. [يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة على ما فعلتم نادمين](الحجرات:٦).

المادة السادسة والعشرون:

حركة المقاومة الاسلامية وهي تنظر إلى الحركات الوطنية الفلسطينية التي -لا تعطي ولاءها للشرق أو الغرب- هذه النظرة الايجابية، فان ذلك لا يمنعها من مناقشة المستجدات على الساحة المحلية والدولية، حول مناقشة المستجدات على الساحة المحلية والدولية، حول القضية الفلسطينية، مناقشة موضوعية تكشف عن مدى انسجامها، أو اختلافها مع المصلحة الوطنية على ضوء الرؤية الاسلامية.

أهل الديانات الأخرى:

المادة الحادية والثلاثون:

حركة المقاومة الاسلامية حركة إنسانية، ترعى الحقوق الانسانية، وتلتزم بسماحة الاسلام، في النظر إلى اتباع الديانات الأخرى، لا تعادي منهم إلا من ناصبها العداء. أو وقف في طريقها ليعيق تحركها أو يبدد جهودها.

وفي ظل الاسلام يمكن أن يتعايش أتباع الديانات الثلاث الاسلام والمسيحية واليهودية في أمن وأمان، ولا يمكن أن يتوفر الأمن والأمان إلا في ظل الاسلام، والتاريخ القريب والبعيد خير شاهد على ذلك.

وعلى أتباع الديانات الأخرى أن يكفوا عن منازعة الاسلام في السيادة على هذه المنطقة، لأنهم يوم يسودون فلا يكون إلى التقتيل والتعذيب والتشريد، فهم يضيقون ذرعاً ببعضهم البعض فضلاً عن أتباع الديانات الأخرى، والماضي والحاضر مليئان بما يؤكد ذلك.

[لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون](الحشر:١٤).

والاسلام يعطي كل ذي حق حقه، ويمنع الاعتداء على حقوق الآخرين. والممارسات الصهيونية النازية ضد شعبنا لا تطيل عمر غزوتهم «فدولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة».

(١) «حماس»: ١ من المحرم ١٤٠٩هـ- ١٤ آب ١٩٨٨م. ص ٤٣-٤٧ ومن ٥٤-٥٥.

تنسيق العمل بين الجماعات الاسلامية[1].. الوصية التاسعة:

الشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق

وهذه وصية عظيمة وهي تنطوي على مجموع من الحقائق:

أ ـ أن قيام الجماعات الاسلامية الكثيرة في أنحاء العالم الاسلامي كان بحكم تباعد الديار، والاختلاف في الأولويات، وتغير الظروف والملابسات. وهذا جميعه قد أفرز بالتالي تعدد جماعات الدعوة.

ب ـ هذا التعدد في نظري أنه كان وما زال ظاهرة طيبة إيجابية استفاد منها الجهاد الاسلامي كثيراً. وذلك أن الأوضاع السياسية والظروف القائمة لا تسمح باقامة عمل واسع منظم للدعوة، والظروف الأمنية لم تكن لتسمح أحياناً بقيام جماعات لها لون معين واهتمامات معينة كالاهتمام السياسي والتنظيمي، ولذلك نشطت جمعيات وجماعات أهتمت بشؤون علمية وثقافية، وجماعات أفادت المسلمين كثيراً كالجماعات التي اهتمت باقامة المساجد ورعاية الأيتام، وتعليم القرآن، وتثقيف ابناء الاسلام، والدعوة الى الصلاة والزكاة والحج، وتعليم الناس توحيد الله وعبادته، والنهي عن مظاهر الشرك والوثنية، ومحاربة بعض البدع العقائدية الخطيرة.. وكل هذه أمور لا غنى للمسلمين عنها بتاتاً، وقد قامت بها جماعات كثيرة في غيبة بعض الجماعات التي غلبت السياسة ونقد الحكام، وتنظيم الاحزاب على نشاطها والتي كانت تلاحقها السلطات في كل مكان..

ولذلك فقد كانت لقيام الجمعيات الدعوية التي أهتمت بأعمال الخير والدعوة إلى أمور الدين السابقة أثر بالغ في حياة المسلمين وخاصة بعد أن تخلت معظم الحكومات عن هذه المهام من تعليم القرآن والصلاة والاسلام، ورعاية الأيتام والفقراء وإخراج الزكاة، والنهي عن البدع والمنكرات، والشرك. والخلاصة أن تعدد جماعات الدعوة كان وما زال ظاهرة صحية؛ من أجل أنه وسع دائرة الخير، وأفاد المسلمين فوائد عظيمة جداً.

وكذلك فقد كان لتعدد الجماعات أثر بالغ في تكميل الصورة الاسلامية. فما أهمله بعض الجماعات أهتم به آخرون وهكذا ظهرت الصورة المتكاملة للاسلام من خلال مجموعة الجماعات القائمة، والعلماء العاملين والرجال المصلحين الذي أبرزوا بمجموعهم صورة الاسلام الكلي الشمولي الذي لم تستطع ولا تستطيع جماعة واحدة أن تقوم به كاملاً في كل الظروف السياسية والاجتماعية القائمة.

جـ ـ ولا أنكر ولا أشك أنه قد كان هنالك بعض السلبيات من هذا التعدد كالتنافس غير الشرعي، الذي أدى الى الطعن والتشويه والتجريح، وإيقاع المبتديء في بلبلات عظيمة. وحيرة من أمره في شأن الدعاة للاسلام، واختلافهم ولكن هذه السلبيات لا يمكن أن توازي الايجابيات العظيمة من تعدد الجماعات. علماً أن هذه السلبيات يمكن تلافيها تماماً والتخلص منها أبداً باتباع سياسة حكيمة وهذا ما تدعو إليه هذه الوصية التاسعة. وتتمثل هذه السياسة الحكيمة فيما يأتي:

١ ـ اشاعة أخوة الاسلام ورابطته بين جميع العاملين للاسلام والدعوة الى أن المسلم أخو المسلم في كل زمان ومكان وهيئة وجماعة وأن الرابطة من أصول الدين، وقواعد الاسلام.

٢ ـ التلاقي بين العاملين للاسلام ومناقشة أولوياتهم ومناهجهم والانفتاح على الآخرين، ومعرفة ما عندهم.

وفي ظني أن حتمية العمل ووحدة المصير ستحتم على العاملين للاسلام أن يكونوا وحدة في آخر المطاف، وذلك أن الأمور تتحرك في ظل الدعوة الى الله إلى انحياز أهل الشر بعضهم بعضاً، وتناصرهم وتعاونهم، وبالتالي سيجد أهل الخير والدعوة أنه لا مناص لهم من التعاون والتآزر والتعاون.

ومع ذلك فانني لا أقول يجب أن نصبر حتى تلجئنا الظروف الى التعاون، بل يجب أن يسعى كل العاملين للاسلام الى أن يكونوا أخوة متحابين متناصرين، وأن يكونوا صفاً واحداً في وجه المجرمين من الملحدين. وألا ينتظروا حتى تلجئهم الظروف الى ذلك. بل عليهم أن يعملوا للوحدة والتآلف والتآزر من الآن بوحي من إيمانهم وعقيدتهم وأن هذا هو فرض الله عليهم وأمره لهم كما قال تعالى [واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا] وقوله [ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم] وقوله [إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص] والايات في هذا المعنى كثيرة جداً.

ومع هذا فأنا لا أشك بتاتاً أن مصير الفرقة بين الجماعات الاسلامية الى زوال، وأنه لا مندوحة لهم ولا مناص لهم عن التآخي والتآزر.

وأنا لا أدعو بالضرورة إلى دمج الجماعات الاسلامية في جماعة واحدة فهذا لا أشك بضرره في الوقت الحاضر فضلا عن استحالته وبعده عن الواقع والمعقولية وإنما أدعو الى الوقوف صفاً واحداً في القضايا العامة وحرب اعداء الله واعداء رسوله ودينه وأما في أمور التربية الخاصة، والأولويات والاهتمامات فلا شك أنه كلما كان هنالك لقاء كان هنالك تقارب، وكلما كان هنالك أكثر من جماعة في القطر الواحد كان هناك مجال عظيم التنافس في الخير والتسابق الى الاحسان، والى تطوير كل جماعة لعملها واستسامها بنشاطها، واقتباسها لنواحي الحسن عند منافستها والتخلي عن مواطن الضعف التي تعاب عليها، وهكذا تستفيد الدعوة الاسلامية في النهاية من هذا التنافس والتسابق على الكسب والاحسان وأما وجود جماعة واحدة للدعوة في القطر الواحد فانها بالضرورة تؤدي إلى الرتابة والخمول والكسل. وضعف النقد، وبالتالي تراكم الاخطاء واستفحال الأدواء.

والخلاصة أنني أدعو الى التقارب والتنسيق بين الجماعات الاسلامية، وفتح مجالات الحوار واللقاء، وإذكاء التنافس في الخير، والتسابق الى الاحسان وهذا هو الذي سيسرع بنشر الوعي الديني وتحويل مجتمعاتنا الى مجتمعات اسلامية.

---

(١) «الوصايا العشر للعاملين بالدعوة الى الله سبحانه وتعالى، عبد الرحمن بن عبد الخالق، ط١، ١٤٠٨، ١٩٨٨، ص٥٣-٥٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

التجسس وكشف المساويء والمعايب لغير عذر شرعي

الشيخ حسن أيوب

حب الاستطلاع طبيعة إنسانية، وما من إنسان سوي معتدل إلا وهو مفطور على محاولة الكشف عن الأمور المخبأة، والبحث عن الأشياء المجهولة، وعدم الوقوف عند حد معين من المعلومات، وتلك الغريزة هي التي تدفع الانسان الى الجرى وراء ما في الكون من أسرار وحقائق وغرائب... والتقدم الذي وصلت إليه البشرية في العلوم التجريبية بجميع أنواعها يرجع الفضل الأول فيه الى تلك الغريزة. فهي نعمة كبرى من نعم الله التي لا تحصى.

إلا أن هذه الغريزة ككل غريزة إنسانية يجب أن يكون انطلاقها في حدود الصالح الخاص، أو الصالح العام، وانطلاقها في حدود الصالح المفيد يعتبر شكراً لنعمة الله تعالى حيث استعمل الانسان النعمة فيما خلقت لأجله. فان استعملها فيما هو ضرر للفرد أو الجماعة فان ذلك يعتبر كفراً بنعمة الله تعالى يوجب سخط الله وغضبه وعقابه في الدنيا والآخرة.

وبناء على ذلك فكل بحث وكشف مفيد ونافع للأمة فهو محمود ومرغوب فيه عقلاً وشرعاً وعرفاً.

وكل بحث وكشف ضار بالفرد أو بالأمة فهو مذموم ومبغوض شرعاً وعقلاً وعرفاً.

ومن النوع الأول الكشف عن أسرار الطبيعة ومُعَمّيات الكون وخفايا الجسم الانساني وطوايا البحار والمحيطات، ومحتويات النجوم والأفلاك، والدأب الجاد للوصول إلى المخترعات والمستحدثات التي ترقى بالانسانية، وتدفعها إلى التقدم الحضاري النافع، وتقيها الوقوع تحت سطوة المعتدين والظالمين والمغتصبين.

ومنه تتبع أخبار الأعداء بكل وسيلة وطريقة مشروعة حتى ندرك كل ما يعدونه أو يكتشفونه للقضاء علينا، والاعتداء على مقدساتنا وحرماتنا، أو لاثارة الفتن والمباديء الكافرة، أو الانحلالية بين أبناء أمتنا.

وذلك كله داخل تحت قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (سورة فصلت آية ٥٣)

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (سورة الأنفال آية ٦٠) وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ (سورة النساء آية ٧١)

ومن النوع الثاني المذموم تتبع الأخبار الخاصة والأمور المستورة لأي فرد أو جماعة من المسلمين للبحث عن العيوب والوقوف عليها، سواء لتكون معلومات خاصة لمن يتتبعها ويجري وراءها حتى يستغلها متى شاء، أو لتكون معلومات عامة تنشر بين الناس ويفضح بها أصحابها كما تفعل الصحافة الساقطة والكتاب المفتونون، أو لتكون هذه المعلومات سلاحاً في يد الحاكم يستغله ضد أفراد الأمة المسلمة أو ضد جماعاتها ليفسد أمرها، ويشهر برجالها ونسائها، ويزداد بذلك طغياناً وجبروتاً وكبتاً للناس وقتلاً لروحهم المعنوية.

وكلنا يعلم أن الحكام الظالمين المستبدين أعداء الحرية قد سخروا أموال الشعب المسلم المنكود بهم للبحث وراء الأشخاص والجماعات، ودفعوا ذوى النفوس الخبيثة والضمائر الميتة من أتباعهم ومنافقيهم للدخول فيما بينهم كجواسيس في صور تائبين أو محبين لا يريدون إلا أن يعرفوا من الأسرار والأخبار ما يشوهون حقيقته، ويبلغونه على غير وجهه الصحيح طمعاً في المال والمنزلة عند الحكام ففسدت الأمور وضاعت الثقة وانتشرت الفتنة، وأخذ البريء وتُرك المجرم، وطفا على السطح طائفة المنافقين، واعتزل الحياة السياسية كرام الناس وخيارهم، وأسند الأمر إلى غير أهله وانعكست المفاهيم فصار الظلم غاية العدل، والحرمان نهاية الترف، والشقاء قمة السعادة، والسجن والاعتقال والشنق بدون تحقيق أو دفاع أكبر نعمة في دولة السلاطين حماة الراكعين لأعداء الشعوب مهانة وذلة، الخاضعين لأوامر تصدر من الشرق أو الغرب رغبة ورهبة!!!! وكم للمباحث في ظل هؤلاء الحكام من جرائم لو جمعت لكانت أهراماً من جماجم الشعب، وبحاراً من دمائه، وتلالاً من أمواله ذهبت هدراً، وضاعت هباء بسبب حاكم ظالم لشعبه ذليل لعدوه، ومباحث ومخابرات ومنافقين وسفلة منحطين، وطغام أفاكين، أعانوا الظالم ومكنوا له حتى قضى أو كاد على معنويات الشعب وحريته وإنسانيته وكل كرامة [illegible] له!!!! لهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ (سورة الحجرات ١٢)

ومعنى التجسس عند العلماء: هو البحث عن عورات المسلمين ومعايبهم واستكشاف المستور من أمورهم ومثله التحسس وقد قريء «ولا تحسسوا» بالحاء بدل الجيم.

قال الألوسي في تفسيره «روح المعاني» والذى عليه الجمهور أن المراد على القراءتين النهى عن تتبع العورات (أي العيوب التي يستاء الانسان من ذكرها أو معرفة الغير لها) وعدوه من الكبائر..

أخرج أبو داود، وابن المنذر وابن مردويه عن ابى بَرْزَةَ الأسْلَمِيّ قال: خطبنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإيمانُ قَلْبَهُ. لا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِ المُسْلِمِينَ، فإنَّ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَاتِ المُسْلِمِينَ فَضَحَهُ اللهُ في قَعْرِ بَيْتِهِ». وفي رواية البيهقي عن البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم نادى بذلك حتى أسْمَعَ العَوَاتِقَ في الخدور».

الى أن قال: ومن التجسس على ما قاله الأوزاعي الاستماع إلى حديث قوم وهم له كارهون، فهم حرام أيضاً هـ منه، (جـ ٢٦ ص ١٥٧، ١٥٨).

«السلوك الاجتماعي في الاسلام» - الشيخ حسن أيوب - دار البحوث العلمية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ - ص ١٢٠-١٢٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

اذهب إلى فرعون إنه طغى

صدق الله العظيم (النازعات ١٧)

العدو الصهيوني يرتكب من الجرائم بحق شعبنا في فلسطين ما يخجل حتى حلفائه من الدول الغربية، ولاسيما الولايات المتحدة الامريكية. فالتظاهرات تواجه بالرصاص، وقنابل الغاز واشد العقوبات. والمعتقلون يتعرضون لالوان التعذيب الجسدي والنفسي من أجل انتزاع الاعترافات منهم، والناس العاديون تنزل بهم عقوبات جماعية، والاهل قد تدمر بيوتهم لفعل قام به أحد أفراد العائلة وقد يكون حدثاً. هذا دون ذكر الاعتداء على حرية الرأي والتنقل ومصادرة الاملاك، وقطع الأرزاق، والطرد من العمل، والابعاد، والمحاكمات الصورية، ومنع العودة الى الوطن، وتهويد الارض، وانتهاك الاماكن المقدسة، وتغيير المعالم التاريخية للبلاد. هذا فضلاً عن انتهاج سياسات متعمدة لنشر الانحلال والتفسخ الخلقي بين الشباب الصاعد لابعادهم عن عقيدة الاسلام واخلاقه وتعاليمه.

بيد ان من أشد الامور إيلاماً لنا، وحزاً في انفسنا، نحن أبناء فلسطين الذين تعرضنا وما زلنا نتعرض لكل هذا من عدونا الصهيوني المغتصب المجرم، حين نسمع هذا العدو يقول أن ما يرتكبه من أعمال القمع ومن انتهاكات لحقوق الانسان وكرامته هو أقل من قليل اذا ما قورن بما ترتكبه غالبية الانظمة العربية والاسلامية بحق شعوبها حين تواجه التظاهرات أو المعارضة، او النقد، أو الخصوم. كما ان من أشد الامور حزاً في أنفسنا حين نقرأ في التقارير الدولية التي تتعرض لانتهاكات حقوق الانسان في مختلف بلدان العالم فنجد عدداً غير قليل من بلداننا العربية والاسلامية يتصدر القائمة، وأحياناً، بلا منازع أو منافس.

ونذكر يوم جاءنا أحد اخوتنا المجاهدين الى سجن نفحة وكان قد سجن وحقق معه في أحد السجون العربية قبل ان يتسلل الى الارض المحتلة ويعتقل اثر اشتباك بقوات العدو. لقد حدثنا عما رآه في السجن العربي من أهوال في التعذيب والاهانة وهدر الكرامة، وعما سمعه من زملاء له من قصص واجهوها هم أو بعض من استشهدوا تحت التعذيب، تشيب لهولها الولدان ويخجل المسلم منها حين تحدث في بلاده التي يقوم فيها الأذان. ولشد ما بكينا ونحن في محنتنا حين سمعنا ما يلاقيه المجاهدون الاسلاميون، على الخصوص، من ألوان الاضطهاد والقهر والتعذيب وقطع الارزاق والحرمان من أبسط الحقوق الانسانية. فلكم اكلت السياط اقداماً متورمة.. ولكم تناثرت على جدران أقبية التعذيب من دماء مع آهات تصرخ «لا إله إلا الله»، ولكم توقفت قلوب عن الخفقان تحت اللسع بالكهرباء أو الكي بالنار، أو الضرب المجنون.

ما هذا الذي حدث ويحدث في أمتنا التي هي خير أمة أخرجت للناس. كيف وصلت الامور في بعض الاقطار الى حد يسمح لعدونا الصهيوني ان يخفي سوأته، أو ان يخفف من جرائمه اذ يقابلها بما يرتكب من جرائم هنالك؟ بل كيف يحدث هذا في أمة القرآن.. في امة تؤمن بسيادة شرع الله؟ ثم كيف يستطيع عدونا المجرم ان يباهي بحرية الاحزاب والصحافة في نظامه بينما يشير الى بلاد اسلامية تحكم بالاستبداد والحديد والنار. تكمم فيها الافواه، ويمنع النقد، ويضرب كل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويطالب بالشورى، وبتطبيق تعاليم الاسلام التي تعتبر الانسان خليفة الله في الارض. هذا الانسان الذي كرمه رب العالمين واوصاه بالقسط والعدل والعمل الصالح والاصلاح ودفع الشر والظالم.

أما آن الاوان ان تنفض امتنا عن كاهلها هذا الانكفاء عن الاسلام، هذا الانحطاط في وهاد الاستبداد والقمع أو هذا الظلم للانسان؟ اما آن الاوان لحكام هذه الامة ان يأتوا الى كلمة سواء مع معارضيهم، بما في ذلك القوى الاسلامية، ليقوّم الصراع، اذا عز التصالح، ضمن حدود تسمح بحرية الرأي والتنظيم وتتيح الفرصة للشعب ليختار ممثليه ويقول كلمته ورأيه، ضمن حدود بعيدة عن لغة السياط والسجون والرصاص والمشانق والمنافي وقطع الارزاق، وبعيدة عن الاغتيال والتخريب والضرب في الظلام. أما آن الاوان ان يكرم الانسان الذي كرمه الله وتصان حقوقه ليقوم بدوره، بواجباته ويسهم في انهاض الامة، وحل مشكلاتها، أو قل أما آن الاوان ان تنقى الاجواء في الداخل العربي الاسلامي حتى تتمكن الامة من الرد على تحديات العصر. تحديات الاعداء.. حتى تتمكن ان تصبح للمجاهدين في فلسطين عوناً وتسهم في تحرير الأرض المباركة.. حتى تتمكن ان تقوم بواجباتها التي كلفها بها رب العالمين.. ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾ (هود:٩٧)

أما اذا استمرت هذه الاحوال على هذا المنوال، العدو الصهيوني يستفرد بشعب فلسطين قمعاً واضطهاداً وتقتيلاً وتشريداً، وكثير من اقطار الامة أصبح مشلولاً بفعل الاستبداد والمظالم والتبعية، ثم اذا سدت منافذ تصحيح الاوضاع الداخلية فما علينا الآ ان نوطن انفسنا على ويلات يلحقها عدونا الصهيوني بنا بسنين طوال، وما علينا الا ان نشفق على ما يمكن ان يحدث رداً على كل هذا الاستبداد والمظالم والتبعية لان ضغط النار دون منافذ ومتنفسات عواقبه وخيمة. والسلام على من أتبع الهدى وتدبر القرآن: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ (محمد:٢٤).